

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ،

لَقَدْ عَرَفَتِ الْبَشَرِيَّةُ التِّجَارَةَ مُنْذُ بَدَايَةِ تَكْوُنِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَنَشْأَةِ الْعَلَاقَاتِ الْمَالِيَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا. وَأَصْبَحَتِ التِّجَارَةُ مَعَ الزَّمَنِ جُزْءًا أَسَاسِيًّا فِي حَيَاةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا. وَنَقْصِدُ بِالتِّجَارَةِ: عَمَلِيَّةَ بَيْعٍ وَشِرَاءِ السِّلَعِ الْمُخْتَلَفَةِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ «التَّاجِرَ الصَّدُوقَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»¹ وَأَنَّ «التَّاجِرَ الصَّدُوقَ الْأَمِينَ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»² وَأَنَّ «التَّجَارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَ وَصَدَقَ»³.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

إِنَّ إِبْرَانَ النَّبِيَّ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ لَصَفْتِي الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةَ لَدَى التَّاجِرِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ. لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِحُكْمِ كَوْنِهِ مَخْلُوقًا ضَعِيفًا، مُعَرَّضٌ لِرِعَايَةِ مَصْلَحَةِ نَفْسِهِ خَاصَّةً، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسَابِ الشَّخْصِ الَّذِي يَتَعَامَلُ وَيَتَاجَرُ مَعَهُ. وَالسَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ لِهَذَا الْأَمْرِ هُوَ الْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا تَالِيًا. وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ. وَيَثُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»⁴ فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَقَعُ أَسِيرَ نَفْسِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى الدُّنْيَا، لَا يَسْلَمُ مِنَ الْحِيَلَةِ وَالْأَنَانِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ. قَالَ تَعَالَى: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّرَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»⁵.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامَ،

لَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ نَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ فِي تِجَارَاتِنَا. قَالَ تَعَالَى: «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا

بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ۗ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»⁶ فَلَا بُدَّ فِي التِّجَارَةِ مِنْ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْعِبَادِ، وَالْحَدْرَ مِنَ التَّضْحِيَةِ بِعَاقِبَتِنَا مِنْ أَجْلِ رِبْحٍ دُنْيَوِيٍّ مُتَوَقَّعٍ. وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ الْغَشَّ وَالْحِيَلَةَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ حَرَامٌ، وَأَنَّ الْمَالَ الْمُكْتَسَبَ مِنْهُمَا كَذَلِكَ حَرَامٌ. قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، وَسَمَحًا إِذَا اقْتَضَى»⁷. فَيَنْبَغِي عَلَى التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَسَمَّ بِالسَّمَاخَةِ مَعَ كُلِّ مَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ. وَبِالْأَخْصِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي يُعْتَبَرُ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مُمْتَلًا لِلْإِسْلَامِ بِأَفْعَالِهِ وَطَرِيقَةِ حَيَاتِهِ. فَيَجِبُ أَنْ نَكُونَ فِي التِّجَارَةِ صَادِقِينَ وَأَلَّا نُنْسَى بِأَنَّنَا نُمَثِّلُ دِينَنَا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

لَا شَكَّ أَنَّ طَلَبَ الْمُؤْمِنِ لِلْحَلَالِ عَنِ طَرِيقِ السُّبُلِ الْمَشْرُوعَةِ لِذَلِكَ أَمْرٌ جَائِزٌ. وَلَكِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا أَلَّا نَنْجِرَّ وَرَاءَ الدُّنْيَا إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ نُهْمَلَ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ أَجْرَتَنَا. فَلْنَحْرِصْ عَلَى أَنْ نَكُونَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۗ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ»⁸.

أَسْأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوفِّقَنَا لِطَاعَتِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ

عَلَيْهِ. آمِينَ!  **IGMC**

⁵ سورة المطففين: 1-3

⁶ سورة الإسراء: 35

⁷ صحيح البخاري، كتاب البيوع، 16

⁸ سورة النور: 37

¹ سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، 1

² سنن الترمذي، كتاب البيوع، 4

³ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، 10؛ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، 116

⁴ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، 165